الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا » (المائدة ٧٨) أى تكونوا وسطا ولا تغلوا الى أحد الطرفين . « **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله** » (المائدة ٨٨) لأن الأكل الحلال من أهم أسباب حفظ القلب وطهارته وحسن السلوك الى الله وتقواه . وبالعكس فان الأكل الحرام والخمر والميسر من أسباب الفساد والاجرام فقال الله « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** » .

هذه اذن سورة ذات موضوع كامل . تتناول مسألة من أدق وأهم المسائل الاجتماعية . وتشرح تضامن المجتمع فى الحق وأسباب الطاعة ومنافعها ، وأسباب العصيان ومضاره . وتقيم نظرية مثلى فى احترام المجتمع للقانون ، وأساس هذا الالتزام . وتضرب الامثلة فى دوافع العصيان ومغبته .

والواقع ان احترام النظام والقانون من الايمان . لان الايمان تصديق وتسليم والكفر تمرد وعدوان . ويبدأ الانسان بالتمرد على السلطة الطبيعية الاولى عليه وهى سلطة الابوة . ولذلك قرن الله العبادة بطاعة الوالدين . ثم يعقب الانسان على تمرده مع والديه ، تمرده مع أولى الامر ثم النظام ذاته . ثم يخرج الى نقد واضع النظام ومقيم الناس فى أحوالهم فيتنكرون له ويكفرون به .

نسأل الله حسن العاقبة فى الايمان .

مصطفى كمال وصفى .
مستشار مساعد بمجلس الدولة

فقيد آل البهى

استأثرت رحمة الله بشقيق الاستاذ السيد أحمد كامل البهى . خليفة المقام الاحمدى .

وأسرة المجلة تشاطر السيد أحمد مصابه الاليم ، وتسأل الله أن يلهم آل الفقيد الصبر الجميل ، وأن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه

تزهيدا لك فيها » ويقول أيضا : « لاتستغرب وقوع الاكدار مادمت فى هذه الدار فانها ماأبرزت الا ماهو مستحق وصفها وواجب نعتها » ويقول كذلك مستحثا مريده السالك على عدم الاغترار بمحاسن الدنيا والعمل للآخرة : « لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ، ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها » .

والزهد من الناحية النفسية يعنى أن يخرج الصوفى من قلبه حب الدنيا وحسد أهلها على ما هم فيه ، فان هذا حجاب بينه وبين العمل المثمر فى الدنيا والوصول الى الله ، ومن أجمل العبارات التى تعبر عن هذا المعنى ما يقوله ابن عطاء الله لمريده السالك أيضا : « كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوا ، وتشغل قلبك بما عندهم ، فتكون أجهل منهم ، لأنهم اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت أنت بما لم تعط » .

ومن أخص معانى الزهد من الناحية النفسية كذلك أن يتحقق الصوفى بعدم الاكتراث ، لا بمعنى الاهمال وترك الواجبات والكفاح من أجل الحياة وانما بمعنى الثبات والتحرر عن العبودية لغير الله ، فيقوى بذلك على مجابهة الحياة الدنيوية بما فيها من مشاق ومتاعب وآلام . وعلامة الزاهد فى هذا ألا يفرح اذا ما أقبلت عليه الدنيا ، ولا ييأس اذا ما أدبرت عنه ، لأنه اذا فرح بوجود شىء ، وحزن لفقده ، كان عبدا لما أفرحه بقاؤه وأحزنه فقده ، فيقول ابن عطاء الله للسالك : « ينبغى لك أيها العبد أن لا تيأس على فقد شىء ، وأن لاتركن الى وجود شىء ، فان من وجد شيئا فركن اليه أو فقد شيئا فحزن عليه ، فقد أثبت عبوديته لذلك الشىء الذى أفرحه وجوده وأحزنه فقده » ، ويقول لك كذلك فى عبارة قوية للغاية : « ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه » .

وهذا المعنى الأخير من معانى الزهد الذى أشرنا اليه مستند الى قوله تعالى : « **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** »

ومن أجمل ما قيل فى الزهد ما روى عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : قسم الزهد الى ثلاثة أقسام فقال : « الزهد على ثلاثة أوجه : ترك الحرام وهو زهد العوام ، والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين »

والزهد أيضا فيما يرى محمد بن الفضل على درجتين ، فقد قال : « ايثار الزهاد عند الاستغناء ، وايثار الفتيان عند الحاجة ، قال الله تعالى : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** »

والايثار المشار اليه هنا من أسمى الصفات الاخلاقية التى يتصف بها الانسان ، فان الايثار الذى هو مظهر الزهد من الناحية العملية ، يحقق للناس تماسكهم وتحابهم وتعاطفهم ، وهذا كله لازم للنهوض بمجتمعهم البشرى .

ونحب أن نوضح معنى آخر للزهد فى الاذهان ، فان بعض الناس قد ربطوا بين الزهد والفقر وجعلوهما متلازمين ، على حين أن الزهد لا يقتضى أن يكون الزاهد فقيرا لا يملك شيئا من أسباب الدنيا . وقد قال بعض الصوفية ان الزهد هو فى أن تكون معرضا عما تملك لا فى أن تكون معرضا عما لا تملك ، لانك اذا كنت لا تملك شيئا ففيم تزهد ؟

يتفق الزهد اذن مع وجود الاسباب الدنيوية ، وعلامة زهد الزاهد المتسبب ايثاره مما يملك ، كما ان علامة زهد الزاهد المتجرد وجود الراحة النفسية من الفكرة فى الاسباب . يقول السكندرى فى هذا المعنى : « وللزاهد فى الدنيا علامتان : علامة فى فقدها وعلامة فى وجدها فالعلامة التى فى وجدها الايثار منها ، والعلامة التى فى فقدها وجود الراحة منها ، فالايثار شكر لنعمة الوجدان ، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان »

ويتعمق بعض الصوفية بعد ذلك فيما يبعث السالك للطريق على الزهد وحاصل كلامهم فى هذا أن هناك باعثين على الزهد :

فالباعث الاول متعلق بالايمان بالحياة الاخروية ايمانا تاما ، بحيث اذا آمن السالك بلقاء الله فى الدار الآخرة ، وأن هذا اللقاء قريب استحقر الدنيا وجعلها ممرا يعبر منه الى الله .

والباعث الثانى مستند الى أساس فلسفى من تفسير الوجود ، بحيث اذا آمن السالك بأنه لا يتصف بالوجود الحق الا الله ، وبأن الكون كله بما فيه من كائنات ليس له رتبة الوجود الحقيقى ، زهد فيما لا وجود له على التحقيق ، بل ارتفع عن الزهد ذاته الى عدم الزهد ، فما لا وجود له على التحقيق لا يتعلق به زهد ولا ترك . وان شئت قلت فى عبارات أخرى اذا تحقق الصوفى بشهود أحدية الله كان معرضا عما سواه .

يتضح من هذا كله ما ينطوى عليه الزهد عند الصوفية من المعانى النفسية والاخلاقية والفلسفية ، ويتضح منه كذلك كيف كان الصوفية يتعمقون فى فهم المعانى المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه .

فالى من يتكالب على المادة من الناس واهمين انها السبيل الأوحد الى سعادتهم أسوق هذا الحديث عن الزهد ، عسى أن يكشف الله به الغشاوة عن عيون قلوبهم ويدفعهم الى التماس الكمال الخلقى الذى دعاهم اليه الاسلام ، والذى هو دعامة الحياة المثمرة الحرة الكريمة .

ابو الوفا الغنيمى التفتازانى